واقع الفلاحين في نظر الشعراء العراقيين في النصف الاول من القرن العشرين

م . د. محمد حسون نهاي
الجامعة العراقية/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
Mohammedhasoon9@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

إن الفلاح في العراق عموماً وفي الجنوب على وجه التحديد قد تعرض إلى ظلم كبير وغبن واضح، إذ لم يراعَ حتى مركزه بوصفه إنساناً، مما سمح للإقطاعي الذي تجرد من كل القيم والمشاعر الإنسانية أن ينزله إلى دركات الذل والعذاب الدائم. إن الإنصاف يدفعنا للقول: إن موقف العراقيين كان كبيراً حسب كل المقاييس وفي طليعتهم الأدباء، إذ تطرق كثير منهم إلى ظلم الإقطاعيين ولم يتردد بعضهم من تسمية الأشياء بمسمياتها على الرغم من حظوة الإقطاع وسطوته الشديدة على كل شؤون البلاد.

أما شريحة الشعراء لا سيّما شعراء النجف الأشرف، فإنهم تركوا لنا صورة شعرية رائعة عن ظلم الإقطاع للفلاح؛ بسبب حالة الوعي التي كانت سائدة في المجتمع النجفي، ولم يقتصر هذا النشاط على شعراء النجف بل إن هناك مجموعة كبيرة من شعراء العراق حملوا على عاتقهم مسؤولية الذب عن حقوق الفلاح المستضعف ومناوئة الإقطاع المتسلط.

كما كان للشعر الشعبي دور واضح، إذ كيف لا يكون كذلك وهو الأقرب إلى الواقع والأكثر ملائمة لمشاعر الناس لاسّيما وإنه بعيد عن التعقيد ويتناغم مع معاناة الفلاحين مفصحاً عن قسوة الإقطاع.

الكلمات المفتاحية: واقع الفلاح، الشعراء العراقيين، القرن العشرين.

المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان الى قيام يوم الدين.

أما بعد:

فإن دراسة واقع الفلاح من وجهة نظر الشعراء العراقيين تحتاج منَّا الى مسحٍ شاملٍ لكل البيئة الريفية العراقية، لذلك حرص الباحث على تقسيم بحثه

على مبحثين سبقتهما مقدمة وتبعتهما خاتمة، إذ مثلت المقدمة إضاءة كاشفة لكل مفاصل البحث، فيما خصص المبحث الأول.

لدراسة واقع الفلاح من وجهة نظر شعراء النجف ، بسبب الحضور اللافت لشعراء هذه المدينة في هذا المضمار.

في حين اشتمل المبحث الثاني على دراسة واقع الفلاح من وجهة نظر سائر شعراء العراق.

أما الخاتمة فتضمنت بعض ما لاح للباحث من نتائج

والحمد لله أولاً وأخراً

- المبحث الاول -

واقع الفلاح في نظر شعراء النجف

لا نبالغ إذا قلنا: إنَّ الطبقة الإقطاعية هي الطبقة الأولى في المجتمع الريفي في العراق، كونها هي المالكة الفعلية للأرض وما عليها. اما شريحة السراكيل[١] فوظيفتها مراقبة العمل الزراعي وهي المسؤولة عن إدارة العملية الزراعية في الريف، فهم الوجه الحقيقي للإقطاعي لاسيما الإقطاعي الظالم منهم، فربما لا يرى الفلاح الإقطاعي إلا نادراً ، لكن السركال كان بالقرب منه ومعه دائماً. لقد أدى ازدياد مصالح الشيوخ الخاصة في بغداد إلى ابتعادِ الشيوخ عن عشائرهم، مما أدى إلى بروزِ السراكيل، لدرجةِ أنهم أصبحوا الشيوخ الحقيقيين على الأراضي[٢]. أما الطبقة الواقعة في أسفلِ الهرم فهي طبقة الفلاحين، الذين يشكلون غالبية سكان الريف، وهم عماد البلاد ومداده، والطبقة المنتجة التي تقع عليها عمليات الإنتاج كاملة من ألفها إلى يائها، وبالمقابل هي الطبقة التي وقع عليها ظلم الإقطاعيين وتعسفهم [٣].

كانت الطريقة الشائعة في قسمةِ الحاصل(الغلة) في الريفِ العراقي لاسيما الجنوبي منه هو تقسيمها إلى حصصٍ متساوية تسمى الكومات أو الفراديس. إحدى تلك الحصص تعطى للإقطاعي صاحب الأرض كرسم حكومي. وحصتان للإقطاعي أيضا تحت عنوان إيجار الأرض. أما الحصتان الأخيرتان فكانتا للفلاح، أي ان حصة الفلاح المسؤول الوحيد عن إنتاج الحاصل حوالي ٤٠% منه[٤].

وبما ان الفلاح العراقي هو الحلقة الاضعف في الريف والإقطاعي هو المسيطر على كل شيء ، لذلك لم يتردد في أن يفرض ضرائب ورسوم على الفلاح لم تخطر على بال احد ولا يوجد لها نظير في كل تاريخ الضرائب[٥]. ولما كان نهب حقوق الفلاح وحصيلة كدحه وعمله لموسم كامل كانت تتم أمام عينه وفي وضح النهار، ولا يستطيع ان ينبس ببنت شفة جرّاء ذلك، فلم يكن غريباً بعد ذلك

كلـه ان يصـل إمـلاق الفـلاح المسـكين إلـى مسـتويات كبيـرة لاسـيما وأن حصـة الفـلاح الضـئيلة جـداً كانـت تترقبهـا عيـون البـزاز والبقـال علـى أمـل ان يسـدد لهمـا مـا بذمتـهِ مـن ديـونِ، وإذا لـم يـتمكن مـن ذلـك يُرَحَّـل دَينـهُ إلـى موسـم آخـر وبموافقـة الإقطـاعي، مما جعل الفلاح وعائلته ينوءان تحت وطأة الذل والعبودية الدائمة(٦).

لا جـدال فـي ان طريقـة توزيـع الحاصـل التـي تطرقنـا إليهـا فـي السـطورِ السـابقة قـد أنزلـت الفـلاح إلـى مسـتوياتٍ مخيفـة مـن الإمـلاق والعـوز المسـتمر، لـذلك بـات مـن الطبيعـي جـداً ان تشـغل احـوالهم ومعانـاتهم الكبيـرة حيـزاً مـن اهتمامـات الادبـاء والشعراء العراقيين.

لقـد حـرص الشـعراء علـى تجسـيد الظلـم الـذي لحـق بـالفلاحين نتيجـة للقسـمة غيـر العادلـة للحاصـل، إذ بـدا لنـا ان شـعراء النجـف الاشـرف اكثـر اهتمامـاً مـن غيـرهم بمشـكلات الفـلاح وهمومـه، وربمـا يرجـع ذلـك إلـى الـواعز الـديني الـذي تمتـع بـه اغلـب شعراء المدينة المقدسة وفي مقدمتهم شاعر الشعب:

<u>محمد صالح بحر العلوم</u>

الـذي يُعـد ابـرز شـاعر عـالج مشـكلة الفـلاح بعمـق واخـلاص، إذ أهـدى ديوانـه "**العواطف**" إلى الفلاح قائلاً:

تقبـــل أيهـــا الفـــلاح منـــي عواطـــف يســـتبان بهـــا شـــعوري
ولا تحـــزن إذا لـــم تلـــقَ ثوبـــاً يقيـــك وثـــوب غيـــرك مـــن حريـــرِ
فـــأن الـــدهر لـــم يعـــرف ضـــعيفاً ولـــم يـــألف مجـــاراة الفقيـــر(٧)

مـال الشـاعر – فـي نصـه هـذا – الـى محاولـة اسـتعطاف الفـلاح فابتـدأ بطلـب (تقّبـل) لعـل الفـلاح يشـعر بأهميتـه الأمـر الـذي مـن شـأنه أن يخفـف مـن أعبائـه، ثـم أنعطـف الشـاعر الـى لغـة المواسـاة مـن خـلال محاولـة تقليـل الفـارق الطبقـي بـين الفـلاح وبـين الآخـرين مـن ذوي الجـاه والنفـوذ إذ ألقـى الشـاعر باللائمـة علـى الـدهر الـذي لا يحسن التصرف بأهله في مواطن كثيرة.

وقـد فـاض الـديوان بوصـفِ حالـة الفـلاح ومـا اصـابه مـن بـؤس وشـقاء وجهـل واسـتغلال ومـرض وتـأخر وانحطـاط فـي حياتـه، ففـي إحـدى قصـائده نعـت الفـلاح بـ "الحـي المقبـور"، إذْ وصـف بهـا مـا يعانيـه الفـلاح مـن آلام، وكيـف اسـتغله اصـحاب القصـور، ولـم يعطـوه مـا يقابـل أجـره وكـده، إنمـا كـان جـزاؤه الحرمـان والجـوع، ثـم قـام الشـاعر بتحفيـز الفـلاح واثارتـه علـى اولئـك الـذين تـأمروا علـى موتـهِ البطـيء، لاسـيما وان قلـوبهم خاليـة مـن الشـعور، ونفوسـهم مجـردة مـن الاحاسـيس والعواطـف، مبتعـدة

عن الانسانية والرحمة، فاستبشر خيراً باندلاع ثورة العشرين مطلقاً عليها اسم ثورة الفلاح ، اعترافاً له بالجهد الكبير الذي بذله فيها، فقد ضحى بروحهِ ومالهِ وحارب المحتلين، حتى أجلاهم عن أرضه بعزيمة لم تعرف الكلل، وقوة لم تعرف التواني والملل، وناضل بصبر ما عرف المهادنة حتى انتصر[٨]. ومن اجل ان نضع القارئ الكريم في صورة ما جرى نورد شيئاً من تلك القصيدة:

على اقتدارك أَم قصوري — تبنى الالوف من القصور
ويعذب الجمع الغفير — بنعمة النزر اليسير
وتصب اسواط البلاء — من الغني على الفقير
وتداس مصلحة العموم — بطيش أذناب الغرور
يامن بذرتَ وراح غيرك — حاصداً ثمر البذور
الى متى يافلاح تجتهد — والجهود بلا اجور
ما من جزاء للأيادي — الشاهدات ولا شكور
ماذا جنيت من النخيل — وما انتفعت من التمور
وهل ادخرت لعيش عامك — غير صاع من شعير
يتأمرون على اغتيالك — خلف استار الشرور
وجميعهم متجردون — عن العواطف والشعور
واذا رأيت منافقاً — يبكيك بالدمع الغزير
فأعلم بأن بكاءه — للقصد قنطرة العبور
صبراً فما للخطب الا — همة الرجل الصبور
ان مات إنصاف الطبيعة — فانتظر جرس النشور
لذ بالشباب الحي فهو — المستعان على الامور
سر باسمه فصريح مبدئه — يقيك من العثور[٩]

أستهل الشاعر هذه القصيدة بمطلع في غاية الروعة إذْ بدا مرصعاً ببعض الفنون كالطباق والجناس إذْ وظف الشاعر لفظة (قصوري) تارةً مع الطباق في صدر البيت في قوله: اقتدارك أم قصوري. وتارة أخرى وظفها مع الجناس في عجز البيت في قوله: تبنى الألوف من القصور.

ثم استرسل الشاعر بلغة منسابة خالية من التعقيد على طول القصيدة، لأن هدفه إيصال رسالة واضحة الى من يهمه الأمر.

ثم أعطى لنا الشاعر بحر العلوم صورة رائعة عن جشع الإقطاعيين في تقسيم الحاصل عندما قال : " **وبباب الكوخ كلب الشيخ يعوي اين حقي**"[١٠]

وفي قصيدة ثالثة للشاعر بحر العلوم القاها في في مدينة النجف اسماها "الفلاح"استعرض فيها مشكلات الفلاح العامة، وقارن بين حياته وحياة اصحاب الترف والنعيم الذين سرقوا كده وتعبه. إذْ كلفت هذه القصيدة الشاعر بحر العلوم غالياً فقد حُكم عليه بالسجن المؤبد طبقاً لحكم المجلس العرفي العسكري، إذْ خاطب الفلاح بها قائلاً:

انت يافلاح عانيت البلاء واجتنى غيرك اثمار التعب
تسهر الليل لجعل الاغنياء بارتياح وهناء وطرب
وقضى العدل بامواج القضاء في محيط هاجه ريح العطب[١١]

وفي قصيدة اخرى قارن الشاعر بها بين النعيم الذي يرفل به اصحاب القصور، وبؤس الفلاح الذي يرزح تحت وطأته، مع ان هذا النعيم هو من عمل الفلاح ومن كده وهو اجدر به واحرى بالانتفاع منه فقال:

كم نعيم احرزته فئة هو من دونك بؤس فاتك
وقصور سلبتها سلطة منك بالجور وانت المالك
ومصابيح علتها بهجة هي لولاك ظلام حالك
ابهذا الوضع تحيا امة وبها الظلم وباء هالك[١٢]

غير ان هؤلاء المتنعمين لا يعرفون للفلاح حقاً برأي الشاعر محمد بحر العلوم لذلك ينبغي على الفلاح ان يفرضه عليهم ويأخذه منهم، فقد سرقوا هذا الحق منه، ولابد لهُ من ان يترك المنجل جانباً ويفرض قوته عليهم لانهم قوم لا يعرفون غير منطق السيف فقال:

حلقت آهات شكواك على جاحدي فضلك ليلا في السما
فاستعالت شهباً ترعى الملا وترى من لا يراعي الذمما
فاترك الزرع ونح المنجلا عنك حيناً واملأ الارض دما
وبحد السيف حاسب دولاً بينها حقك اضحى مغنما[١٣]

وهكذا كان الشاعر محمد بحر العلوم عميق الشعور، صادق الاحساس، فاندفع بشعوره واحساسه مطالباً بالإصلاح وتغير الاوضاع السيئة التي يئن منها العراق فقال في إحدى قصائده منتقداً مشايخ البرلمان واصفاً أحلامهم المريضة بقوله:

يطيل رب القصر في نومه ليحلم العود الى البرلمان
والكلب والفلاح في بابه الى طلوع الفجر لا يهجعان
هذا على اضيافه نابح وذاك يبكي حقه المستهان
وقد تعامى العدل عن نائب يبرأ من تمثيله الرافدان[١٤]

ثم يثير استفهاماً عن القصور الشاهقات فيقول:

لمن القصور الشاهقات تحفها هذي المهابة
للشاعر السامي العواطف ام لفذّ في الكتابة
ام ملك فلاح تلازمه التعاسة والكئابة
هي ملك من خرجوا على القانون منذ ان امنوا عقابه

ليس هذا فقط، بل صدحت حنجرته بقصيدةٍ رائعة أُخرى اسماها العبودية والأغلال[١٥] قال فيها :

سر على اسمِ الله يقظان الضمير تجد القصد كما تضمرهُ
وخذُ العزم دليلاً في المسير تنتفع أضعاف ما تخسرهُ
وانظر الفلاح معدوم النصير ليس في العالمِ من ينصرهُ
يقضي يومين بقرصٍ من شعير يابس في حجرٍ يكسرهُ

واختتم الشاعر بحر العلوم قصائده بوصفِ الشيخ بـ"الشيخ المماكر" إذ قال:

لهفي لفلاح تسيره المطامع والمآرب ويسوقه الشيخ المماكر لاحتمال اذى المصاعب

مما سبق نستنتج ان الشاعر بحر العلوم كان عنيفاً في المطالبة صريح في الدعوة الى الثورة وتحطيم كل ما يقف امام رغبات الشعب، لذلك جوبهت دعوته بالنقمة من قبل الحاكمين، فقضى معظم حياته سجيناً معذباً منكلاً به اشد تنكيل[١٦].

ومن الشعراء الذين وقفوا الى جانب الفلاح وسعوا إلى إنصافه الشاعر محمد مهدي الجواهري فعندما راحت قبضة رجال الإقطاع تزداد قوة وبطشاً واستغلالاً وقف شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري ثائراً ضد هذه الاوضاع فراح متسائلاً :

الا قوة تستطيع دفع المظالم وانعاش مخلوق على الذل دائم
الا اعين تلقى على الشعب هاوياً الى حماة الادقاع نظرة راحم
وهل ما يرجى المصلحون يرونه مواجهة ام تلك اضغاث حالم
تعالت يد الإقطاع حتى تعطلت عن البت في احكامها يد حاكم[١٧]

وتحدث عن الارض التي هي ملك الجميع قائلاً:

هي الارض التي لم يخصص لها الله مالكاً يصرّفها مستهتراً بالجرائم

ثم وصف الجواهري حالة الفلاح وكوخه المظلم وجوعه، مستثيراً همم ذوي النخوة والضمير بقولهِ:

حنايا من الاكواخ تلقى ضلالها على مثل جب باهت النور قاتم
تلون سياط فوق ظهر مكرم من اللؤم مأخوذ بسوط الألام
وباتت بطون ساغبات على طوى واتخمت الاخرى بطيبِ المطاعم
اهذي رعايا امة قد تهيأت لتستقبل الدنيا بعزمِ المهاجم[١٨]

وقد أدرك الجواهري الكبير أثر الإقطاع في الدولة، ومدى انعكاسه على الفلاح المسكين، عندما اصبح بمقتضاه شيخ القبيلة صاحب الزعامة والإقطاعي الكبير، واصبح ابناء القبائل والفلاحون لا يملكون المأوى، بادر الشاعر الى مخاطبة المنصفين من الناس قائلاً بألمٍ مرير، طالباً منهم التجول معه في الريف إذْ قال:

جل معي جولة تريك احتقار الشعب والجهل والشقاء جماعا
تجد الكوخ خالياً من حطام الدهر والبيت خاوياً يتداعى
واستمع لا تجد سوى نبضات القلب دقت خوف الحساب ارتياعا
فلقد اقبلت جباه تسوم الحي عنفاً ومهنة واتضاعا

ان هــذا الفــلاح لــم يبــق الا العــرض منــه يجلــه ان يباعــا[١٩]

فضـلاً عـن ذلـك كلـه، يلاحـظ الجـواهري، ان العدالـة الاجتماعيـة تحتـاج الـى ثـورة عارمـة فـي وجـه الفسـاد والمفسـدين، ومـن يتقـدم لهـذ الثـورة، اذ لـم يحتضـنها الكـادحون المسحوقون من الفلاحين فيتوجه اليهم بالقول:

تريدون ان تستقيم الامور وان يخلف الا خبث الاطيب
وان يأكل الثمر الزارعون وان يأخذ الارض من يدأب
فلا تحسبوا ان مستعمراً يثار عليه ولا يغضب
ولا تحسبوا ان مستثمراً ظلوماً لمصرعة يطرب
ولا تحسبوا انهم يضمأون وطوع بنانهم المشرب
ولا تحسبوا الارض يهنأ بها ذووها وبالدم لا تخضب[٢٠]

دعـا الشـاعر الفلاحـين الـى بـذل المزيـد مـن التضـحيات للوصـول الـى الأمـل المنشود، إذ قال:

فقل للمقيم على ذلة هجيناً يسخر او يلجم
فاما الى حيث تبدو الحياة لعينك مكرمة تغنم
وإمّا الى جدث لم يكن ليفضله بيتك المظلم[٢١]

وأصـرَّ الشـاعر محمد مهـدي الجـواهري علـى ان زمـن الاسـتعباد وَلَّـى واصـبح مـن الماضـي، ولا يُـذكر الا تاريخـاً شـاهداً علـى مرحلـة مـن القسـوة والظلـم سـتبقى فـي ذاكـرة المضـحين، حتـى لا يكـون هنالـك مسـتبدون فـي المسـتقبل، وهـذا العنفـوان جسـده الشاعر بقولهِ :

مضى امس حيث يقص الشيوخ لابنائهم كيف عاش العبيد
وكيف تعرت على الزمهرير زنوج لتكسي تلك الزنود
وكيف استوى حبة حبة من العرق المر عقد فريد
وكيف واطفالكم في العراء صنعت لطفل الثرى المهود
وكيف على كسرات الرغيف يعفر في كل يوم شهيد
مضى امس اسود من خلفه وجوه مضت تنطف اللؤم سود
وقرت على صرفات الجموع تنفض عنها الخمول الرقود
وبورك عيد نضال سعيد سيتلوه من حسن عقباه عيد[٢٢]

وقد وصلت معاناة الجواهري الى ان يتخذ من كل مناسبة سواء كانت سياسية أم اجتماعية منبراً لشن حملاته على الإقطاع والإقطاعيين فيقول:

انا خصم الإقطاع والادقاع وكثير في ذلكم اتباعي
لم ادع منهم مفصلاً لم امر به بسهمي ولم اطله بأسي[٢٣]

غير ان الاوضاع المتردية تحتاج الى حاكم حقيقي او حاكم بصير حازم يدرك عواقب الامور، ويسعى الى تحقيق العدل الاجتماعي، فيشن على الإقطاع حرباً ضروس تجتث جذوره، ويعطي الفقراء حقوقهم ولا يخشى في الحق لومة لائم ولا سطوة طاغ مستبد، وهذا ما أكده الجواهري بقولهِ :

وان سواداً يحمل الجور مكرهاً فقير لها بي النصح حازم
يشن على الإقطاع حرباً مبيدة ولا يخشى في الحق لومة لائم
يمد يداً تعطي الضعاف حقوقهم ويسطو بأخرى باطشاً غير راحم
ويجتث اقطاعاً اقرت جذوره سياسة تفريق وجور مغانم
سياسة افقار وتجويع امة وتسليط افراد جناة غواشم[٢٤]

نجح الشاعر في استثمار بعض الأفعال المضارعة الصاخبة ذات الوقع المؤثر في النفس مثل(يشن- يسطو- يجتث) بهدف تحريض السواد الاعظم من الناس على الثورة على هذه الأنظمة البالية.

وأتفق الشاعر علي الشرقي مع الشاعرين بحر العلوم والجواهري في ضرورة إنصاف الفلاح كما عالج الشاعر مشكلة الفلاح واهتم بها كثيراً، فهي ليست مشكلته لوحدهِ وإنما، هي مشكلة الشعب باجمعه، فالفلاح عنوان الأمة ومظهر حضارتها وركيزة من ركائز التقدم فيها، إذ ليست المدنية الحقيقية هي المتمركزة في المدن الكبرى، انما يقاس تقدم الشعب بقراه واريافه، لذلك صدحت حنجرت الشاعر قائلة:

ان تفتش عن انتعاشِ بلادٍ فتفقد شؤونها والنواحي
واذا ارتاحت البلاد وتبدت في قراها علائم الارتياح[٢٥]

وذكر الشاعر ان معاناة الفلاح تمثلت بحرمانه من خيراته التي يكد في سبيلها، ولكنه لا يحصل الا على ما يسد الرمق، فهو يعيش في جنة لكن نصيبه

العذاب والشقاء والألم، وقد وصف الشاعر الفلاحين بقرى النمل، وهو وصف فريد ورائع فقال:

ما لهذا الفلاح في الارض روح اهو من معشر بلا ارواح
هو في جنةٍ ينال عذاباً وهو تحت الاشجار اجرد ضاح
وقرى النمل لهف نفسي أثرى من قراه إلا من الأتراح[٢٦]

واثار الشاعر الشرقي مشكلة تعد من أعظم المشكلات التي اكتوى بها الفلاح أَلا وهي مشكلة فرض الضرائب الثقيلة التي ارهقته واضطرته الى الدَين، فأضافت عبئاً على اعبائهِ ، واخذ حاله يضمحل شيئاً فشيئاً ويُقتل بغير سلاح، وهل هناك انفذ من الفقر سلاحاً، لذا فقد اصبح قلبه الجريح ينزف دماً ويفيض حسره ولوعة، وكيف لا يطفح هذا القلب بالحسرة، وهو يرى كل دواب الأرض منعَّمة وأما هو فقد حرم من أبسط ضروريات الحياة وهو من كرّمَهُ الله في محكم كتابه فأنفجر قائلاً:

يا ضعيفاً ارى الولاة عليه اعرضت من نصائح النصاح
ارهقته ضرائب باهظات وديون ثقيلة الارباح
لم يفده سلاحه فهو ليث قتلوه جوراً بغير سلاح
لو كشفنا عن قلب ذلك المعنى لوجدناه مثخناً بالجراح
خص من نهره ومن شاطئيه بخسيس المرعى وبالضحضاح
في مروج من حولها تتناغى كل صداحة الى صداح
يا ربوعاً حيوانها يتغنى بسرورٍ واهلها في نياح[٢٧]

واردف الشاعر على الشرقي قصيدته هذه بقصيدة أخرى وصف فيها اثاث الكوخ الذي يسكنه الفلاح عندما فاض نهر الفرات فقال:

الموج في تلك السهول كأنما زحفت على تلك السهول روابي
فبلاغة الاعيان ما اجدت ولا صد الفرات فصاحة النواب
يا خيبة الفلاح في آماله من ضيعة الاموال والاتعاب
طافت حنايا الكوخ فوق خصاصه الغرقى وعام البيت بالاخشاب
ولقد نظرت اثاثه الطافي فلم ابصر سوى نهر وجُرد ثياب[٢٨]

بدا الشاعر الشرقي في كلتا القصيدتين متحدثاً باسم الفلاح شارحاً معاناته وما يكابده من شظف العيش .

ومن المناسب أن نشير في هذا المقام الى حقيقة مفادها: إن القصيدة الثانية ولدت من رحم القصيدة الأولى إذْ إن الشاعر بيّن في الأولى ما ألَّم بالفلاح من محن ومصائب ، أما في الثانية فشرعَ بسرد ما أفرزته الحوادث والخطوب من آلامٍ ومصاعب

ولم يغب هذا الأمر عن الشاعر احمد الصافي النجفي إذ دفعه إلى نظم قصيدة رائعة، طالبَ من خلالها الفلاح إلى ان يرفق بنفسه ولا يحملها ما لا تطيق، لاسيما وان جميع سعيه ذاهب لغيره، ولا يعود عليه إلا بالفقر المدقع والعيش الحقير والبيت المظلم الداكن الذي يتهاوى إذا هبت عليه الرياح، فلنترك الشاعر النجفي يصور ذلك شعراً :

رفقاً بنفسك أيها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك في الصباح على عنانك غدوة وعلى الطوى لك في المساء رواح
هذي الجراح براحتيك عميقة ونظيرها لك في الفؤاد جراح
في الليل بيتك مثل دهرك مظلم ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفك إن هملتْ عين السما ويطير كوخك ان تهب رياح[٢٩]

وللشاعر احمد الصافي النجفي موقفاً صريحاً من الديون التي أثقلت كاهل الفلاح وباتت تقضُّ مضجعه فتحدث الشاعر بلسان الفلاح قائلاً:

هذي ديونك لم يسدد بعضها عجزاً فكيف تسدد الارباح
بغضون وجهك للمشقة اسطر وعلى جبينك للشقا الواح
عزف الحياة يسيل منك للآلئلاً فيزان منها للغني وشاح
اتصد جيش الطامعين ولم يكن لك في الدفاع سوى الصياح سلاح[٣٠]

كيف يسمع الاقطاعيون الصياح والبكاء وهم في لذاتهم وشهواتهم يستبقون الكأس المترعة والالحان المغرية في قصورهم الفارهة؟ ومتى استمع اقطاعي ظالم بشع، الى صوت محروم ضعيف معذب، أَحدقَ به البؤس واضناه المرض واقعده الفقر؟ لذلك طلب شاعرنا النجفي من الفلاح أَن يترك العمل الذي لا يعود عليه بالنفع لأن ريعهُ للمالكين فقط[٣١]. فقال الشاعر والألم يعتصر قلبهُ :

يا غارس الثمر المؤمل نفعه دعه فأن ثماره الاتراح
اقلعه فالثمر اللذيذ محرم للغارسين وللقوي مباح[٣٢]

واعطى الشاعر احمد الصافي النجفي صورة معبرة عن الشيخ الذي تخلى عنه افراد عشيرته. بسبب فقره حيث وصفه بـ "الشيخ اليتيم" وانشد هذه القصيدة قائلاً:

ليس اليتيم صغير السن مبتدئاً حياته وهو ينمو كلما كبرا
بل اليتيم هو الشيخ الذي فُقِدتْ اعوانه ومآويه وما ادخرا
يزداد عجزاً وطيف الموت يرقبه حتى يظن قبيل الموت قد قبرا
وكم يتيم تبناه الانام وقد نما وجال وخاض العيش منتصراً
فهل تبنى الورى شيخاً بلا سند كالطفل اضحى لعطف الاهل مفتقراً
ورب شيخ رماه الاهل في طرق مثل اللقيط ولا شخص له نظراً
والشيخ ليس له نفع فليس يرى الا امرءاً مغضباً او ناظر سخراً
حتى العواطف اضحت من متاجرهم فكم ترى قاسياً بالعطف متجراً
وكم تبنوا يتيماً قصد منفعة فمذ نما وترجو نفعه غدراً
هذا جزاء امرئ قد راح متجراً بالعطف فليعتبر من كان معتبراً[٣٣]

تعددت الصور التي رسمها الشاعر للشيخ المعدم فتارة وصفه باليتيم وتارة بالطفل وتارة باللقيط إذ أراد الشاعر من خلال هذه الأوصاف تأكيد حقيقة مفادها إنَّ الشيخ الفقير هو الحلقة الأضعف في القبيلة لاسيما وأن الناس باتت تزن الأشخاص بمعايير مادية بحتة.

يبدو أن الشاعر بالغ الى حد كبير في تشبيهاته لاسيما وصفه للشيخ باللقيط إذ أن هذا اللفظ لا يناسب المقام وكان الأولى به الاكتفاء بلفظة اليتيم لأنها جامعة مانعة لكل معاني الحاجة.

ولم تغب عن مخيلةِ الشاعر محمد الحبوبي ما تعرض له الفلاح من غبنٍ في توزيعِ الأراضي إذْ قال :

قل للمساكين الألى سَرهم أن الأراضي عمها التحصيصُ
ليست لكم هي بل لمن دمكم لهم من دون قصدهم الثمين رخيصُ
ما حازها غير الذين عن الهدى لهم انحراف دائم ونكوصُ
السالبيكم بالعظام حقوقكم ليعيش باسم المصلحين لصوصُ[٣٤]

وهناك قطعة شعرية تفيد المعنى نفسه للشاعر محمد جواد الشبيبي إذ أن هذه المظالم أثرت في نفوس عدد من الشعراء الذين عاصروا تلك القضية، ووقفوا على صور المآسي والشقاء التي كانت تنزل بجموع الفلاحين، لاسيما في تقييم

المحصـول (التقـدير) وقـرب أوان الحصـاد، وقـد صـور لنـا الشـاعر محمد جـواد الشـبيبي هذه المآسي قائلاً:

يا حارث الارض والساقي وباذرها قتر اذا نفع المحروم تقتير
إذا اتاك رجال الخرص فالقهم بطلعة برقت منها الاسارير
إنْ باغتوك بنار شبها غضب وسعرتها من العسف الاعاصير
فاحفظ بقايا حبوب منهم سقطت فللباقيا ببغداد مناقير[٣٥]

مـال الشـاعر فـي هـذا الـنص إلـى الأسـلوب المباشـر باسـتثناء بعـض الصـور التـي تخللـت الـنص والتـي كشـفت عـن حجـم المعانـاة التـي يكابـدها الفـلاح لاسـيما مشـهد الحبـوب المتسـاقطة فـي غفلـة مـن رجـال الإقطـاعي والتـي إن لـم يغـنم الفـلاح فرصـة الظفر بها فهناك مناقير تتربص بها لالتقاطها والفوز بها.

المبحث الثاني

واقع الفلاح في نظر سائر شعراء العراق

نبـدأ مـن بـؤرة الإقطـاع العمـارة إذْ إن شـاعرها حسـين الحـاج وهـج[٣٦]لـم يكـن بمنـأى عـن معانـاة الفـلاح فالحقيقـة الواضـحة للعيـانِ فـي ريـفِ العمـارة خاصـة هـي، إن الإقطـاعيين لاسـيما الكبـار مـنهم هـم عبـارة عـن ملـوكٍ غيـر متـوّجين، أو انهـم أقـرب إلـى أُمـراء القـرون الوسـطى لـذلك قيـل: فـي العـراق ملـك وألـف شـيخ[٣٧]، فـلا حـد لسـلطاتهم، ولا عـائق أمـام رغبـاتهم، ولا حـدود لجشـعهم واسـتغلالهم للإنسـانِ والأرض والميـاه والأنهـار والأهـوار وكـل شـيء. فإنـه مـن الطبيعـي جـداً، ان يغـالوا كثيـراً فـي إيجادِ شتى الضرائب والوسائل للحصولِ على الأموال[٣٨].

وبالقدر نفسه اشار شاعر العمارة حسين الحاج وهج الى الغبن الذي تعرض له الفـلاح فـي حصـته وكيـف يخـرج فـي نهايـة الموسـم صـفر اليـدين، إذْ رسـم لنـا الشـاعر هذه الصورة شعراً بقوله:

اتخذنا من نبات الارض قوتاً ولم تشبع بمكسبنا البطونا
جهدنا زارعين بكل آن فلسنا في المزارع ناجحينا
بذلنا النفس في جد وجهد وعند الحاصلات مفلسينا[٣٩]

مـن أسـرار جمـال هـذا الـنص أن الشـاعر ابتـدأ صـدور الأبيـات بأفعـال ماضـية (اتخـذنا، جهـدنا، بـذلنا) كـي يثبـت للسـامع أن الفـلاح العراقـي بـذل منتهـى الغايـة فـي العناء ولكن من دون جدوى.

ولـم تغـب حالـة الاهمـال التـي تعـرض لهـا الريـف العراقـي فـي الجنـوب عـن مخيلـة الشـاعر مصـطفى جمـال الـدين، فقـد صـدحت قريحتـه شـعراً، فقـال فـي قصـيدة اسـماها "منـاظر الريـف" اوصـل مـن خلالهـا رسـالة الـى المتبـذخين السـارقين بـأن مـا ينعمـون بـه هو من قوت الفلاح البائس الذي يعد مرآة عاكسه لكل أحوال الريف العراقي فقال:

مناظر الريف وما ابدعها — مناظراً تخلب كل حب
وهل يراعى الشيخ والطفل به — من كان في الحكم له ادنى الرتب
كلا فليس الريف غير عاجز — وحق من كان ضعيف مغتصب
يا ريف يا مصدر كل نعمة — يرفل في نتاجها من اغتصب
لولا اياديك لما قام به — قصر اناف رفعة على السحب
لولا بواريك لما امتدت به — طنافس الحرير في البهو الرحب
لولا مساحيك لما قامت به — للكهرباء اعمدة من الذهب
لولا هزيج الريح في كوخك لم — يسمع في بغداد ترنيم حلب
لولا دموع من عذارك لما — طاف به الكأس على نخب الطرب
لولا استغاثاتك من جوع لما — عم لياليه الهراء والصخب
لولاك يا ريف لما كان له — الا جبين خطل من التعب(٤٠)

علـى الـرغم مـن تكـرار مفـردة(لـولا) لسـبع مـرات – فـي هـذا الـنص– إلا أنهـا بـدت مستساغة تألفها الأسماع لأن الشاعر نجح في توظيفها على أكمل وجه.

كمـا أعطـى لنـا الشـاعر محمد جمـال الهاشـمي صـورة حيـة أُخـرى عـن الفـوارقِ الاجتماعيـة التـي أوجـدتها هـذه القسـمة الباطلـة التـي لا تعـرف الإنصـاف لا مـن قريـبٍ ولا من بعيد إذْ قال :

يا مطلع الفجر ويا أم القرى — إن القرى ما بين سلب ونهب
أرى قصوراً من حديد نهضت — حولي وقومي في بيوت من قصب
كم خطفت ابصارنا سيارة — في أرض شعب زاحف على الركب
من يسأل القرية عن آلامها — فكم جروح في القرى وكم ندب
في غبرة الفقر ويجري حولها — وادي الفرات الخصب أو وادي الذهب
ما يصنع الفلاح في عروشكم — أن تغصب السلة منه والعنب(٤١)

إن مـن أعـذب الشـعر هـو مـا صـلح أن يكـون مـثلاً وقـد نجـح الشـاعر فـي أن يخـتم قطعته الشعرية تلك ببيت يمكن أن تتناقله الألسن وهو:

(ما يصنع الفلاح في عروشكم أن تغصب السلة منه والعنب)

اما الشاعر معروف الرصافي فأعطى الإقطاع في العراق وصفاً في غايةِ الدقة والروعة عندما قال : " ان العراق اليوم يمثل العصور الإقطاعية بأفظع وجوهها السود، واقبح صورها المنكرة ، حيث ترى فيه من يملك إلوف الفدادين وترى في ملكهِ الواسع العظيم إلوفاً من الناس يكدحون له ويكدحون، ويحرثون ويزرعون وليس لأحدهم من مرافق الحياة سوى ثوب اسمال ورغيف خبز، وترى صاحبهم في نعيم سابغ ، وعز باذخ ، وشرف شامخ ،يقضي اوقاته في عيشٍ رغيد، وفي عزٍ ولهوٍ من كد هؤلاء المدقعين الذين يجرعون كؤوس البؤس والشقاء"[٤٢].

وعلى ما يبدو ان حناجر الشعراء وجدت في الصحف ضالتها كي تعبر عمّا يدور في خلجاتها، وفي هذا الصدد استوقفتني قصيدة رائعة للرصافي، نشرت في جريدة "السياسة"، ذكر الشاعر فيها معاناة الفلاحين الفقراء وما يتعرضون له من ظلم على يد الشيوخ، داعياً إياهم في الوقت نفسه الى الصبر والثبات مهما كلف الامر، لأن الحقيقة يجب ان تتضح والظلم لابد له من زوال. واورع ما جاءت به القصيدة التي حملت عنوان (أخي) هي:

اخي ان عضك الجوع و الظلم بأنيابه وان هدك جَور الشيخ في الحقل واذنابه
فلا تخنع حنانيك ولا تيأس ولا تخضع غداً ينكشف الحندس[٤٣]
اخي ان عدت في الليل الى بيتك مهموماً وشاهدت ابنك الغالي طريح الارض محموماً
فلا تخنع حنانيك ولا تيأس ولا تخضع غداً ينكشف الحندس
اخي العامل في المعمل والفلاح في الحقل كفى هذا الذي مر من العمر على الذل
اخي ان بالغ الشيخ واشقاك بطغيانه أَو إنه انهك اخوانك كي يهنأ بأطيانه
وان بذر من مالك في الفسق وأخدانه
ولا تخنع حنانيك ولا تيأس ولا تخضع غداً ينكشف الحندس
اخي ان ضج اهلوك من الغبن الذي لاقوا وان مر على كوخك اذلال واملاق
وان اضناك من دهرك تعذيب وارهاق
ولا تخنع حنانيك ولا تيأس ولا تخضع غداً ينكشف الحندس[٤٤]

أن هذا النوع من الشعر الحماسي لا يفتأ الشاعر فيه عن تكرار العبارات الأستنهاضية الداعية الى عدم الخضوع أو الركون للظالمين وهي: ولا تخنع حنانيك ولا تيأس... الخ . بهدف ترسيخها في الضمائر والأذهان.

وآلمت الشاعر عبد المنعم الفرطوسي [٤٥]مظاهر الفساد والترف التي خلقتها الطبيعة الظالمة نتيجة انعدام العدالة الاجتماعية، والفوضى الاقتصادية السائدة ففي

الوقت الذي لم يكن عامة الشعب يجد قوت يومه. كانت الاقلية من الإقطاعيين تنعم في قصورها ومسارح لهوها، غير آبهة بمعاناة البؤساء وشقاء المعوزين الفقراء. وقد عز على الشاعر ان يرى هذه الصور الاليمة والمناظر المريعة من دون ان يقف موقفاً حاسماً يسدد من خلاله نقده اللاذع تجاه الواقع الاجتماعي المتأزم والتدهور الاقتصادي المتفاقم فقال:

يا موطناً عزت عليه حماته وهم بنوه الذادة الاطهار
وقضت عليه سياسة مسمومة هوجاء قد حفت بها الاخطار
بالرغم من تصفو اليك موارد يحلو بها الايراد والاصدار
وينعم المستعمرون بظلها وبها لهم تستعذب الاوطار
هاتيك دجلة وهي ام برة ولها بنون مثلها ابرار
تتدفق الخيرات من اخلافها حتى تضيق بدرها اقطار
هي جنة طاف السلام مرفرفاً فيها وقر من النعيم قرار
لكن يسوؤك ان ترى ابناءها حرموا قليل الخير وهو كثار
وزوارق اللذات في لج المنى تطفو وترسب والهوى تيّار(٤٦)

ان ما تكبده المزارعون لاسيما الصغار منهم من مشاق وارهاق ومظالم صارخة جرّاء جباية الضرائب والرسوم، وعلى الاخص زراع الشلب وما يدفعونه من رشاوى إلى لجان الإحصاء، التي تخرج عند الحاصل لتخمين كمية الغلة وتقدير الضريبة عليها. ولا تقف عند ذلك الحد وانما، هنالك حوادث لا تحصى من العقوبات القاسية. ومن الصور التي تعكس لنا مقدار ما كان يصيب الفلاحين من مظالم، تلك الصورة التي تمثلت بأحد الاشخاص من الذين دعتهم الحكومة لتسليم ما عليهم من ضرائب، ولما لم يكن عنده ما يسدده لها "ربطته على جذع نخلة وصبوا على رأسه، الماء في ايام الشتاء، وكان البرد قارصاً وشديداً، وضربوه بالسياط فصارت الدماء تسيل من جسمه، وقد تقيح حتى اصبحت الديدان تتساقط منه، وبقي على تلك الحال اياماً "(٤٧).

وقد تأوه مجموعة من الشعراء بهذه الآلام فبدت قصائدهم مشحونة باللوعة والحرقة والأسى على أولئك المستضعفين في الأرض. ثم عاد الشاعر عبد المنعم الفرطوسي الذي عاصر هذه المآسي وتاثر بها، ليخاطب الفلاح بالقول:

وافى الحصاد اليك فاعقد مأتماً للحزن واندب قلبك المفجوعا
قد كان عندك قبل حين حصادها امل ترجيه بها فاضيعا
واتتك تزدحم الجباة ولا ارى لك ما يسد عتوها المدفوعا
الزرع والبقرات قوتك بعتها إثر الشياه ولم تفِ المجموعا
واراك اجلد من صفات بنيهم وارى سواك على الرخاء جزوعاً
ماذا بكوخك من حطام يرتجى من اجله تتجشم التقريعا
فاخرج من الكوخ الحقير الى العرى واخلع لديهم ثوبك المرقوعا[٤٨]

وثمة حقيقة لابد ان تؤخذ بنظر الاعتبار وهي إن الشاعر إذْ فُصل من وظيفته لا لشيء إلا لأنه نشر مقالاً عن حقيقة الاقطاع في لواء العمارة[٤٩] على صفحات جريدة "الجبهة الشعبية " في ١١حزيران ١٩٥٢[٥٠]، ثم عاش محروماً نتيجة شظف العيش وفقر الحال وخذلان الناصر حتى وافته المنية في ٢٤ ايلول عام ١٩٧٣[٥١].

ولم يكن الشعر الشعبي بمعزل عن هذه الأجواء إذْ إن الإنصاف يدفعنا إلى القول: إنَّ الشعر الشعبي في العراق، في احيان كثيرة رسم صورة اقرب ما تكون إلى الواقع واكثر ملائمة لمشاعر الناس، لاسيما وانه بعيدُ عن التعقيد الذي يحتاج فيه المتلقي إلى الرجوع الى المراجع لفهمهِ إذْ يُكتب بلهجة بسيطة متداولة ومألوفة بين الاوساط الشعبية، واذا ما فتشنا عن الشعر الشعبي الذي يتناغم مع معاناة الفلاحين وقسوة الإقطاع نجد على رأس قائمة الشعراء الشعبيين الشاعر مظفر النواب الذي تغلغل في الريف العراقي بصورة تفصيلية، فقد نزل في العمارة ردحاً من الزمن مما ساعده على التعرف اكثر على دقائق الحياة الريفية وهموم الفلاحين وتطلعاتهم، فضلاً عن نبوغهِ وعمق ملاحظاته، وهذا ما كان واضحاً في شعره عموماً. فلما اندلعت انتفاضة آل ازيرج في عام ١٩٥٢، والتي لم تكن من اجل كرسي ولا زعامة بل، من اجل الخلاص من سياط الاقطاع وظلمه المرير، تلك الواقعة الكبيرة التي دفعت الشاعر مظفر النواب لتخليد احداثها من خلال جملة من القصائد[٥٢].امثال "الريل وحمد" و"عشائر السعود" و"حسن الشموس" وغيرها. إذْ ينقل لنا الشاعر ذلك المشهد الدرامي الذي يصور فيه حفنة من النسوة اللواتي تجمعنَّ حول جثة الفلاح الثوري صاحب ملا خصاف[٥٣] الذي اغتاله الاقطاعيون في وضح النهار في ناحية الكحلاء لنشاطه التحريضي بين الفلاحين، حيث كان

النسوة يبكينه ويندبنه بحرقة فيختلط الدمع بالكحل ويخرج ممتزجاً. لم يشأ مظفر النواب تفويت هذا المشهد حيث وثقه في قصيدة عنوانها "مضايف هيل"(٥٤) .

الخاتمة

نستطيع بعد ذلك كله، القول: إنَّ ريف العراق لاسيما الجنوبي منه قد حباه الله سبحانه وتعالى بطبيعة ملائمة تماماً للزراعة، إذ توافرت فيه مساحات شاسعة من أخصب أراضي العراق، وكانت تقطنهُ مجموعة كبيرة من العشائر العربية، اتخذت كل واحدة منها موطناً لها في منطقة معينة، إذ أصبحت هذه المنطقة وملكيتها الجماعية هي سر قوة النظام العشائري لاسيما وأن كل قبيلة ضمن تلك القبائل تقاتل بضراوة دفاعاً عن منطقتها (ديرتها). وكان المجتمع الريفي في العراق، يتكون من فئات وطبقات اجتماعية متعددة تسيطر عليها فئة قليلة من الإقطاعيين استحوذوا على أغلب أراضي العراق، أما الغالبية العظمى من الفلاحين لا يملكون سوى استعدادهم الدائم للفلاحة.

ولا يخفى على احد، ان الفلاح في العراق عموماً وفي الجنوب على وجه التحديد قد تعرض الى ظلم كبير وغبن واضح لم يراع حتى مركزه بوصفه أنساناً، مما سمح للإقطاعي، الذي تجرد من كل القيم والمشاعر الانسانية ان ينزله إلى دركات الذل والعذاب الدائم.

إنَّ الإنصاف يدفعنا للقول: إنَّ موقف العراقيين من ظلم الفلاحين، كان موقفاً كبيراً حسب كل المقاييس وفي طليعتهم الأدباء. إذْ تطرق الكثير منهم إلى ظلم الإقطاعيين، ولم يتردد بعضهم من ان يسمي الأشياء بمسمياتها على الرغم من حظوة النظام الإقطاعي وسطوته الشديدة على كل شؤون البلد.

أما شريحة الشعراء لاسيما شعراء النجف الأشرف، فأنهم تركوا لنا صورة شعرية رائعة وخالدة عن ظلم الإقطاعي للفلاح بسبب حالة الوعي التي كانت سائدة في المجتمع النجفي ولم يقتصر هذا النشاط على شعراء النجف بل أن هناك مجموعة كبيرة من شعراء العراق حملوا على عاتقهم مسؤولية الذب عن حقوق الفلاح المستضعف ومناوئة الإقطاعي المتسلط. كما كان للشعر الشعبي دور واضح إذْ كيف لا يكون كذلك وهو الاقرب إلى الواقع والاكثر ملائمة لمشاعر الناس لاسيما وانه بعيد عن التعقيد ويتناغم مع معاناة الفلاحين مفصحاً عن قسوة الإقطاع.

الهوامش:

(١) السركال: كلمة فارسية الأصل، متأتية من سركار أي رئيس العمل، ويقابلها بالعربية الثائن، وجمعها الثناء، وتقوم مقام المدير الحقلي. للمزيدِ من التفصيلِ ينظر: عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق،ص٥٩؛ محمد عجاج جرجيس، شيخ القبيلة دراسة في تاريخ المشيخة القبلية العربية في العراق وعلاقتها بالسلطة، الجيل العربي، الموصل، ٢٠١٢، ص٥١.

(٢) محمد توفيق حسين، نهاية الإقطاع في العراق، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨، ص٧٥-٧٦؛ اسحاق نقاش،شيعة العراق،ترجمة،عبدالاله النعيمي،دار المدى ،دمشق،٢٠٠٣،ص١٢٨؛ رقية حميد حسن البرزنجي ، الشيخ سالم الخيون ودوره الاجتماعي والسياسي في العراق حتى عام ١٩٥٤م، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص٤٨-٥٠ .

(٣) جعفر عباس حميدي، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية على العراق، بحث منشور في "الحكمة" (مجلة)، فصلية، بغداد، العدد ٢، أيار ١٩٥٨، ص٦٦-٦٧؛ عبد الكريم علوان، مآسي الإقطاع، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٨، ص٤٣ ؛مؤيد شاكر كاظم الطائي،الحزب الشيوعي العراقي ١٩٢٥-١٩٤٩،اطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية التربية-الجامعة المستنصرية،٢٠٠٧،ص٢٩٠-٢٩١ .

(٤) هاشم جواد، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، مطبعة المعارف ، بغداد ،١٩٤٦ ص٤٩؛ درويش الحيدري، الغد المرجو في زراعة العراق الاقتصادية، بحث منشور في "التجارة" (مجلة)، شهرية، بغداد، تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥٤، ص٣٢؛ سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق، بيروت، ١٩٣٨، ص١٥٠؛ عبد الرزاق الهلالي، نظرات في إصلاح الريف، ط٣، دار الكشاف، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص٢٤ .

(٥) عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي في العراق ١٩٣٣-١٩٧٠، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب-جامعة بغداد، ١٩٨٢ ،١١٤-١١٧؛ محمد عويد محسن الدليمي،الاوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٤٩-١٩٤٥،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية-جامعة بغداد،١٩٨٨،ص ١٤٤؛حميد حسون نهاي العكيلي،علاقة الاقطاعي بالفلاح في العراق ١٩٣٢-١٩٥٨ لواء العمارة انموذجاً (دراسة تاريخية)،كلية التربية –الجامعة المستنصرية،٢٠١٥، ص١٠٨-١١٠.

(٦) حنا بطاطو،الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية،الكتاب الاول،ترجمة،عفيف الرزاز،طهران،٢٠٠٥،ص١٧٣؛ مذكرات عبد الكريم حسون الجارالله، تصدع البشرية من خلال ويلات الاستبداد والعبودية،بيروت،١٩٦٩،ص٥٤،حسن الخطيب،الاقطاع وقانون الاصلاح الزراعي،بغداد،بلا،ص٢٥؛يونس نوري الشكرجي ،تطور الجوانب الصحفية في جريدة صوت الفلاح العراقية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الاعلام-جامعة القاهرة، ١٩٨١،ص٦.

(٧) محمد صالح بحر العلوم، العواطف ،مطبعة الراعي، النجف الاشرف، ١٩٣٧، ص٥ .

(٨) محمد صالح بحر العلوم،مصدر سابق،ص ٢٠- ٣٢؛ "الاقتصاد" (جريدة)، بغداد، العدد ٤٨، ٥ كانون الثاني ١٩٣٥.

(٩) محمد صالح بحر العلوم، مصدر سابق، ص ٢٠- ٢٣.

(١٠) أشارة الى قصيدة الشاعر بحر العلوم التي عنوانها(أين حقي).

(١١) محمد صالح بحر العلوم، مصدر سابق، ص ١٢١ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

(١٣) محمد صالح بحر العلوم، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

(١٥) محمد جمال الهاشمي، الأدب الجديد، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، د.ط،د.ت، ص١٣٧-١٣٨.

(١٦) محمد جمال الهاشمي ، مصدر سابق، ص ١٤٣.

(١٧) محمد مهدي الجواهري، ديوان الجواهري، ج١، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٤٩، ص ١٧- ٢١.

(١٨) محمد مهدي الجواهري، المجموعة الشعرية الكاملة، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(١٩) محمد مهدي الجواهري، المجموعة الشعرية الكاملة، ص ٢٧٢- ٢٧٤؛ محمد مهدي الجواهري، الديوان، ج١، ص ٩٥.

(٢٠) محمد مهدي الجواهري، المجموعة الشعرية الكاملة، ص ٤٦١- ٤٦٢.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

(٢٢) محمد مهدي الجواهري، المجموعة الشعرية الكاملة، ص ٢٥٠؛ ديوان الجواهري، ج١، ص ١٩- ٢٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٧٧- ٦٧٨.
(٢٤) محمد مهدي الجواهري وثورته على الإقطاع ،"التبيان"(مجلة)، شهرية، بغداد، العدد٨٢، ١١نيسان،٢٠١١،ص٢٥؛ محمد مهدي الجواهري، المجموعة الشعرية الكاملة، ص٣٧٩ .
(٢٥) ديوان علي الشرقي، جمع وتحقيق ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، د.ط،د.ت، ص١٦٢.
(٢٦) ديوان علي الشرقي،مصدر سابق ، ص ١٦٢- ١٦٣.
(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٦٤.
(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ -٢٠٤.
(٢٩) جلال الخياط، المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧، ص٣٥٠ .
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
(٣١) يوسف عز الدين،الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية، دار المعارف،القاهرة ،١٩٧٧، ص٢٣٤.
(٣٢) جلال الخياط ، مصدر سابق، ص٢٢٢؛ دعوة الحق (مجلة)، شهرية، النجف الاشرف، العدد ٨، ايار، ٢٠١١.
(٣٣) جلال الخياط، مصدر سابق، ص ٥٩٣- ٥٩٤ .
(٣٤) محمد الحبوبي، رباعيات الحبوبي، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف الأشرف، ١٩٥١، ص٨٥.
(٣٥) حمود الحمادي، الشبيبي الكبير الشيخ محمد جواد الشبيبي حياته وادبه، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٢، ص ٣٩٧ .
(٣٦) حسين الحاج وهج: ولد الشاعر عام١٨٦٩م في قرية أم الريش التابعة لمركز قضاء العمارة. نشأ في بيت دين وعلم، إذ شبَّ مثقفاً ثقافة دينية عالية، فحفظ القرآن الكريم، كما حفظ معظم خطب نهج البلاغة، وكان عضواً بجمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف عام ١٩٤٠.
أعماله:
- للشاعر ديوان مخطوط.
- شارك الشاعر في جميع المحافل الأدبية في العمارة.
- كان له دور بارز في النهضة الأدبية في مدينته. ينظر: الشعر والشعراء في ميسان ، طه عبد الله الموسوي، مكتبة أكرم للطباعة، بغداد، ١٩٨٨، ص٧٢.
(٣٧) عبد الله شاتي عبهول، مجلس الاعمار في العراق ١٩٥٠-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص٦ .
(٣٨)"الزمان" ، العدد ٦٣٨٧، ٥ آب ١٩٥٨؛ طلعت الشيباني، واقع الملكية الزراعية في العراق ، دار الاهالي،بغداد،١٩٥٨،ص٥٤؛ محمد نوري كاظم، ملكية الارض في العراق، دار التمدن، بغداد، ١٩٥٨ص٣١؛ نصير سعيد الكاظمي،الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية في العراق، مركز الابحاث، د.ط،١٩٨٦، ص١٦٦؛ستار نوري العبودي،المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني،بغداد،٢٠٠٧، ص١٠٠.
(٣٩) الديوان، مصطفى جمال الدين، ط٢، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م، ص٣٦٨؛ للمزيد ينظر: غازي عبد الحميد الكنين في الادب العماري، ج١، د.ط، د.ت، ص ٤٥- ٤٨ .
(٤٠) "البيان"، (مجلة)، أسبوعية، النجف الاشرف، العدد ٤٧ ، تموز ١٩٤٧، ص٢٥٠ .
(٤١) "البيان"، (مجلة)، أسبوعية، النجف الاشرف، العدد ٤٧ ، تموز ١٩٤٧ ، ص٢٤ .
(٤٢) معروف الرصافي، آراء الرصافي في السياسة والدين والاجتماع، جمع وترتيب، سعيد البدري، دار المعارف، بغداد ،١٩٥١، ص ١٦؛ حميد حسون نهاي ، مصدر سابق،ص٢٣٠.
(٤٣) الحندس: الظلمة: ينظر القاموس المحيط مادة(حندس)،ص٥٤٠.
(٤٤) ديوان الرصافي، شرح مصطفى علي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام،١٩٨٦، ص٢٥٩ وينظر: جريدة "السياسة"، العدد ٦١٢، ٢٠ تموز ١٩٤٦.
(٤٥)عبد المنعم الفرطوسي: هو الشيخ عبد المنعم بن الشيخ حسن بن الشيخ عيسى، يعود نسبهُ الى قبلية آل غزي العربية. ولد عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧ في قرية الرقّاصة التابعة لناحية المجر الكبير في مدينة العمارة(ميسان).
آثاره الشعرية:
- ديوان الفرطوسي.
آثاره النثرية:
- رسالة في باب الاستصحاب في الفقه.

- شرح رسالة الشيخ الأنصاري.
- رسالة في شرح شواهد الشعر في(المختصر)

وفاته: توفي الفرطوسي في سنة ١٤٠٧ه/١٩٨٦م. ينظر: معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطوع، جعفر صادق حمودي، ط٢، مطبعة مجمع أهل البيت،٢٠٠٨م،ص٣٠٨-٣١٤؛ وينظر: شعراء الغري، على الخاقاني،ط١، المطبعة الحيدرية، النجف الشرف،١٩٥٤، ج٦، ص٦.

(٤٦) عبد المنعم الفرطوسي، ديوان الفرطوسي، ج١، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف، ١٩٥٧، ص ٢٠٧- ٢٠٨.

(٤٧) عبد الرزاق الهلالي، قصة الارض...-، ص ١٤١- ١٤٢.

(٤٨) عبد المنعم الفرطوسي، مصدر سابق، ص ١٢٥.

(٤٩) جريدة "الجبهة الشعبية"، العدد ٢٦٧، ١١ حزيران، ١٩٥٢.

(٥٠) جريدة "المدى" العدد ٢١١٨، ٢ ايار ٢٠١١ .

(٥١) من أوراق عبد الحميد الكنين، تقديم ، غازي عبد الحميد الكنين، مخطوطة غير منشورة.

(٥٢) مظفر النواب، للريل وحمد، دار أحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ص١٥٠؛ "المستقبل" (جريدة)، بغداد، العدد (٩٥٨)، ٢٤ شباط ٢٠١٤.

(٥٣) اقيم له أكثر من حفل تأبيني في لواء العمارة. للمزيد من التفصيل ينظر: "صوت الاحرار"، (جريدة)، بغداد، العدد١٧- ١٨، كانون الاول ١٩٥٨؛"صوت الجنوب" العدد٢٧، ١٠كانون الثاني ١٩٥٨.

(٥٤) مظفر النواب، مصدر سابق،ص ٢٣-٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً :- المذكرات الشخصية:

- عبد الكريم حسون الجارالله، مذكرات عبد الكريم حسون الجارالله، تصدع البشرية من خلال ويلات الاستبداد والعبودية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩.
- من اوراق عبد الحميد الكنين، تقديم، غازي عبد الحميد الكنين، مخطوطة غير منشورة.

ثانياً :- الرسائل والاطاريح الجامعية:

- حميد حسون نهاي، علاقة الاقطاعي بالفلاح في العراق ١٩٣٢-١٩٥٨ لواء العمارة انموذجاً(دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية-الجامعة المستنصرية،٢٠١٥.
- حيدر عطية كاظم مطلك السوداني، الموقف الرسمي والشعبي من سكان الاكواخ بغداد انموذجاً ١٩٣٢- ١٩٦٣"دراسة تاريخية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣.
- عبد الله شاتي عبهول، مجلس الاعمار في العراق ١٩٥٠ -١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٨٣.
- عماد احمد الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي في العراق ١٩٣٣ -١٩٧٠، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٨٢ .
- مؤيد كاظم شاكر الطائي، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥- ١٩٤٩ "دراسة تاريخية"، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية – الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧.
- محمد عويد محسن الدليمي، الاوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٩- ١٩٤٠، "دراسة تاريخية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – جامعة بغداد، ١٩٨٨ .
- يونس نوري الشكرجي ، تطور الجوانب الصحفية في جريدة (صوت الفلاح) العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاعلام – جامعة القاهرة ،١٩٨١.

ثالثاً الكتب العربية:

- احسان شمران الياسري، ابو كاطع شمران الياسري نهر العراق الرابع، دار المدى، بغداد، ٢٠١٢.
- اسحاق نقاش، شيعة العراق، ترجمة، عبد الاله النعيمي، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٣ .
- جلال الخياط، المجموعة الكاملة لاشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧.
- حسن الخطيب، الإقطاع وقانون الاصلاح الزراعي، دار الفكر الحديث، بغداد، بلا.
- حمود الحمادي، الشبيبي الكبير الشيخ محمد جواد الشبيبي حياته وادبه، مطبعة النجف الاشرف، ١٩٧٢.
- حنا بطاطو، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول، ترجمة،عفيف الرزاز، منشورات فرهاد ، طهران، ٢٠٠٥.
- جعفر صادق حمودي، معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديون مطبوع، ط٢، مطبعة مجمع أهل البيت، النجف الأشرف،٢٠٠٨م.
- رقية حميد حسن البرزنجي، الشيخ سالم الخيون ودوره الاجتماعي والسياسي في العراق حتى عام ١٩٥٤م ، المركز الهندسي للطباعة ، بغداد ، ٢٠١٥ .
- ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني، دار الكتاب الاسلامي، بغداد، ٢٠٠٧.
- سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق، بيروت، ١٩٣٨.
- شمران الياسري ابو كاطع، الرباعية: الزناد، بلابوش دنيا، غنم الشيوخ، فلوس أُحميّد، ط٢، مطبعة الرواد، بغداد، ٢٠٠٧.
- طه عبد الوهاب الموسوي، الشعر والشعراء في ميسان، مكتب أكرم ، بغداد، ١٩٨٨م.
- طلعت الشيباني، واقع الملكية الزراعية في العراق، دار الاهالي، بغداد، ١٩٥٨ .
- عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ج١، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣.
- عبد الرزاق الهلالي ،نظرات في إصلاح الريف، ط٣، دار الكشاف، بغداد، ١٩٥٤.
- عبد الكريم علوان، من مآسي الاقطاع ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٨.
- عبد المنعم الفرطوسي، ديوان الفرطوسي، ج١، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف، ١٩٥٧.
- علي الشرقي ، الاحلام ، بغداد ، ١٩٦٣ .
- علي الخاقاني، شعراء الغري، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف،١٩٥٤م،ج٣.
- غازي عبد الحميد الكنين، في الادب العماري، بغداد، بلا.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ) ، القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- محمد توفيق حسين، نهاية الإقطاع في العراق، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨.

- محمد جمال الهاشمي، الادب الجديد، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، بلا.
- محمد الحبوبي، رباعيات الحبوبي، مطبعة دار الرشيد للنشر والتأليف، النجف الاشرف، ١٩٥١.
- محمد صالح بحر العلوم، العواطف، مطبعة الراعي، النجف الاشرف، ١٩٣٧.
- محمد عجاج جرجيس، شيخ القبيلة دراسة في تاريخ المشيخة القبلية العربية في العراق وعلاقتها بالسلطة، الجيل العربي، الموصل، ٢٠١٢.
- محمد مهدي الجواهري، ديوان الجواهري، ج١، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٤٩.
- محمد مهدي الجواهري ، المجموعة الشعرية الكاملة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ٢٠٠١.
- محمد نوري كاظم، ملكية الارض في العراق، دار التمدن، بغداد، ١٩٥٨.
- مصطفى جمال الدين، الديوان، ط٢، دار المؤرخ العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م.
- مصطفى علي، ديوان الرصافي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام ،١٩٨٦م.
- مظفر النواب، للريل والحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا.
- معروف الرصافي، آراء الرصافي في السياسة والدين والاجتماع، جمع وترتيب، سعيد البدري، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥١.
- نصير سعيد الكاظمي، الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية في العراق، مركز الابحاث، بلا، ١٩٨٦.
- هاشم جواد، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦ .
- يوسف عز الدين، الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.

رابعاً الصحف والمجلات :

أ- الصحف :

- " الجبهة الشعبية"، بغداد، العدد ٢٦٧،١١ حزيران، ١٩٥٢م
- "الزمان" ، بغداد ، العدد ٦٣٨٧، ٥ آب، ١٩٥٨م
- "السياسة" ، بغداد ، العدد ٦١٢، ٢٠ تموز ،١٩٤٦م
- "صوت الاحرار" ، بغداد ، العدد ١٧، –١٨ كانون الاول ،١٩٥٨م
- "صوت الجنوب" ، بغداد ، العدد٢٧، ١ كانون الثاني، ١٩٥٨م
- "الاقتصاد" ، بغداد ، العدد٤٨، ٥ كانون الثاني ،١٩٣٥م
- "المدى" ، بغداد، العدد ٢١١٨، ٢ آيار،٢٠١١م.
- "المستقبل" ، بغداد ، العدد ٩٥٨، ٢٤ شباط،٢٠١٤م

ب- المجلات :

- البيان، مجلة أسبوعية،النجف الأشرف، العدد(٤٧) تموز ١٩٤٧م
- التبيان، مجلة شهرية، بغداد، العدد٨٢، ١١ نيسان،٢٠١١م.

ثامناً البحوث والدراسات المنشورة:

- جعفر عباس حميدي، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية على العراق،"الحكمة"(مجلة)،فصلية، بغداد، العدد٢،ايار١٩٥٨،ص٦٦-٦٧ .
- درويش الحيدري، الغد المرجو في زراعة العراق الاقتصادية، "التجارة" (مجلة)، شهرية، بغداد، تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥٤.

The reality of the peasants in the eyes of Iraqi poets In the first half of the twentieth century

M . Dr. Mohameed Hassoon Nahhay
college of Literature /AL Iraqi University
Mohammedhasoon9@gmail.com

Summary:

The farmer in Iraq in general and in the South in particular has been subjected to great injustice and obvious injustice, not even taking his position as a human being, which allowed the feudalism, which is stripped of all human values and feelings, to bring it down to perpetual humiliation and torment.

Equity leads us to say: The attitude of the Iraqis was great according to all standards and at the forefront of the literature, as many of them addressed the injustice of feudalism and did not hesitate to name some of their names despite the feudal favor and the intensity of all the affairs of the country.

As for the poets, especially the poets of Najaf, they left us a wonderful poetic picture of the injustice of feudalism to the peasant because of the state of consciousness that prevailed in the Najafi society, and this activity was not limited to the poets of Najaf, but there is a large group of poets of Iraq took on the responsibility of the wolf On the rights of the vulnerable peasant and the anti-feudal feudalism.

The popular poetry also has a clear role, as it is not so, which is closer to reality and more appropriate to the feelings of people, especially that it is far from the complexity and in tune with the suffering of the peasants exposed to the cruelty of feudalism.

Keywords: Reality of the Peasant, Iraqi Poets, 20th Century.